ندوة ضرب العراق والشرعية الدولية

فضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

رئيس جامعة الأزهر

الحمـــد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد،،

كـــم أنا سعيد أن يحدث هذا التفاعل بين جامعة الأزهر ورابطة الجامعات الإسلامية، ومركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي، وكافة المراكز البحثية والجامعات في وطننا الحبيب.

وكـــم أنـــا سعيد اليوم لعقد هذه الندوة العلمية المتخصصة وهى تمـــثل ثقـــلا محورياً هاماً ينبع من أكبر مرجعية إسلامية للعالم وهى جامعـــة الأزهـــر، والتـــي يتخرج منها العلماء والدعاة والأئمة عبر العصور منذ أكثر من ألف عام.

ومـــن أجـــل ذلك فإن هذه الندوة لا تخاطب العواطف، ولا تثير الجماهـــير، ولا يحدث من خلالها بلبلة بأى حال من الأحوال بل هى تخاطب العقل والمنطق والشرعية والقانون والعدل في هذا العالم الذي نعـــيش فيه في فزع ورهبة، والحقيقة أن وراء هذه الندوة رغبة قوية مـــن رابطة الجامعات الإسلامية وجامعة الأزهر لنقول الحق في هذه القضـــية ونـــدل الـــنظام العالمـــي على العدل، فلا نريد منه أن يكيل بمكياليـــن فيترك أسلحة الدمار الشامل لإسرائيل لتعصف بها ما تشاء

ثـم تحاسب من ليس عنده أسلحة لتخول لنفسها وتبرر ضرب بعض الـبلاد، فلـيس الأمـر قاصـراً على العراق وحدها بل تجرى الآن اتهامـات لدول عديدة عربية وإسلامية، ومصر والسعودية في مقدمة هـذه الـدول تتهم بالإرهاب والتضييق على أصحاب الملل الأخرى، وكـل هـذا كـذب وافتراء، فقد بدأت شبكة المعلومات الدولية تخرج أشياء لا أساس لها من الصحة شكلاً وموضوعاً، وهى تنال من مصر والسـعودية، والعديد من الدول، وتلصق بها اتهامات باطلة، فأى عالم هـذا الـذي نعيش فيه؟ يصبح معنى المقاومة والدفاع عن النفس في الأراضـي المحـتلة بفلسـطين يصبح إرهابا بمنطق الكذب والزور، ويصبح العدوان والإرهاب الحقيقي خلافات.

وهذه ندوة متخصصة عاقلة يخرج منها صوت العلماء والعقلاء والكـتاب، ومصـر ليس غريباً أن يخرج منها ذلك، فهى بلد الأزهر بجامعـته العـريقة، ونحن لا نقدح في أحد، ولكننا نريد أن ندافع عن الحـق والشـرعية، ونتحدث بمنطق العقل والدين قبل ذلك لنقول: إن العدوان على الضعفاء وعلى غيرهم أمر مرفوض شرعا ودينا وعقلا وحكمـا وسياسة ونظاماً عالمياً، فالنظام العالمي لا يبيح محاسبة أحد بالضرب أو العدوان أو الحرب إلا باتفاق من سائر دول العالم يقرون مثل هذه العقوبات، والذي يتمثل في الأمم المتحدة.

والأمـر الآخر هو أننا نريد أن ينبعث من هنا صوت يقول: إن مصـر وهـى الدولـة المحورية والتي قادت صوت الحق والحكمة

والعدل والإنصاف والشرعية لم تتوقف بعد، فمنذ اللحظات الأولى من هـذه الفتـنة الشعواء نهضت مصر بدورها لتجنيب العراق والمنطقة هـذه الحـرب التـي لا غالبا رحمت ولا مغلوب، فلو حدثت ستكون الطامـة الكـبرى، لـيس على الدول العربية والإسلامية وحدها، بل سـتكون تداعياتها في العالم كله، فحين يخرج الصوت العاقل الحكيم مـن العلماء والمفكرين ليقول لا لهذه الحرب، أوقفوا هذه الحرب، فلا يجـوز في أى دين من الأديان، ولا في شريعة من الشرائع، ولا في أى قانون من القوانين أن يحدث مثل هذا، وهذه هى وظيفة الجامعات الإسـلامية تنـير الطريق وتسدى النصيحة فهى بيوت الخبرة في كل تخصـص فـي كـل ما يحتاجه العالم والمنظمات العالمية، فهذا هو صوت الإسلام وصوت القانون الدولى وصوت الحكمة ينبعث من هنا ليخاطـب النظام العالمي ألا يعتدي وألا يكيل بمكيالين وأن يقيم العدل فـي هذه الحياة، كما يخاطب الدول العربية والإسلامية المحبة للسلام فـي العـالم أن يكونوا على قلب رجل واحد وأن يكونوا جميعا صفا واحدا في مواجهة أى ظلم أو عدوان حتى الدول الغربية وأمريكا لابد وأن يقفـوا هذا الموقف، لأن تبرير العدوان على دولة اليوم سيغري العـدوان على دولة أخرى في الشرق الأوسط، أو في أى مكان آخر، حيث قال تعالى:

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾ (المائدة: من الآية٣٢)

فكأنما قتل الناس جميعا، ولم يقل المسلمين أو العرب فقط، ومن أجل ذلك كانت هذه الندوة لترسل هذا النداء العاقل الحكيم الذي يدعو عالمنا الإسلامي والمجتمع الدولي ليقف موقف العدل والحق والشرعية، ولتوضح ما اشتبه على بعض من أراد زورا وبهتانا أن يلصقوا ببعض دولنا العربية والإسلامية تهمة الإرهاب، وتهمة التضييق على الأقباط، وهى تهم باطلة وزور يريدون إلصاقها بنا.

ونحن لا ندافع عن أنفسنا لأننا في موقف اتهام، ولكن نريد بيان الحقائق التي يجهلونها والتي يعلمها بعضهم ويحاول أن يتجاهلها، والإسلام هو الدين الذي لا يقبل أبدا العدوان على أحد، ولا يقر أبدا الإرهاب بأى حال من الأحوال، ولا يظلم أبدا من يخالفه في الدين بل إن رسول الله ﷺ أعلن خصومته لمن يظلم إنسانا غير مسلم حين قال: (ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه حقا أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس أو كلفه ما لا طاقة له به فأنا حجيجه يوم القيامة) فهو يعلن خصومته لمن يعادي واحدا من أهل الذمة، أو أهل العهد الذين لا يحاربوننا، ومن قبله قال القرآن الكريم: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة:٨) بل قال حتى في حق المشركين:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ (التوبة: من الآية٦)

دين هذه تعاليمه وهذه صيانته لحقوق الإنسان أى إنسان حتى المشرك لا يمكن ويستحيل أن تلصق به زورا وبهتانا تهمة إرهاب أو عنف أو ما إلى ذلك من الدعاوى الزائفة التي بعثت بها بعض المواقع الظالمة والخاسرة التي ستبوء بهذا الإثم الذي أنتجته هذه الحضارة.

وكنا نتمنى أن يكون وسيلة لنشر الخير والنفع والثقافة، فكان وسيلة لخراب الذمم، ولإلصاق التهم بالمنصفين العادلين من المسلمين الذين عاشوا حياتهم ويعيشونها على مبادئ من الحق والعدل الذي أرساه القرآن الكريم.

تأتي هذه الندوة لتقرر هذه الحقائق، ولتبعث الصوت العاقل الحكيم من أفضل مرجعية إسلامية وهى جامعة الأزهر والحق أحق أن يتبع.

هذا الصوت يسمعه الحكام والأنظمة العالمية حتى تثوب إلى رشدها، وحتى لا تضل، لأن جميع سكان العالم ركاب سفينة واحدة، إن سمحنا لواحد أن يخرقها ستغرق السفينة كلها، من باشر خرقها ومن لم يباشر، وإن وقفنا وأخذنا على أيديهم سينجو هذا العالم من حرب ضروس نووية عالمية تتقهقر بها البشرية قرونا أخرى.

اسأل الله لنا ولكم التوفيق

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته